انعكاسات مفهوم (الأمة) على الجغرافيا الدينية

وموقف الغرب من ذلك

أ.د فتيحة محمد بوشعالة

ملخص

فكرة وعقيدة الوحدة الإسلامية والتي يعبر عنها القرآن بمصطلح (الأمة)، هي اعتقاد متجذر فى العمق المسلم أينما وجد في هذه المعمورة، ولهذا المفهوم أثر مباشر على الرقعة الجغرافية التي تشغلها الشعوب التي توحدها رابطة (الأمة) ، وهو من ضمن ما يطلق عليه الجغرافية الدينية.

جاءت هذه الورقة البحثية الموسومة ب: "انعكاسات مفهوم الأمة على الجغرافيا الدينية وموقف الغرب من ذلك" لإماطة اللثام عن العلاقة الوطيدة بين مفهوم الأمة وبين رقعتها الجغرافية وأثر ذلك في قوتها وضعفها، ومدى اشتغال الغرب الكولونيالي على زعزعة ذلك المفهوم في نفوس المسلمين شعوبا وحكومات، ولتجيب على إشكالية مفادها: ما مدى ارتباط مفهوم الأمة بالأرض الإسلامية وما موقف الغرب من ذلك؟

ومن أهم النتائج المتوصل إليها: أكدت نصوص الوحي على مفهوم الجغرافيا الدينية ودعمته حفاظا على كيان الأمة، ربط الوحي بين مفهوم الأمة وبين الجغرافيا بعديد من العبادات وأبرزها الحج.

أشار الوحي إلى أن فلسطين قضية عقدية ينبغي استرجاعها لأنها أرض المعركة الأخيرة بين الحق والباطل.

يرى الغرب أن فكرة (الأمة) الإسلامية خطر على وجوده، ومن ثمة عمل طيلة قرون على تعطيلها بكل الوسائل الفكرية، السياسية والعسكرية.

Summary

The idea and doctrine of Islamic unity, expressed in the Quran by the term "Ummah" (the nation/community), is a deeply rooted belief for Muslims wherever they exist. This concept has a direct impact on the geographical area occupied by the peoples united by the bond of the Ummah, which falls within what is termed religious geography.

This research paper, entitled "The Repercussions of the Concept of the Ummah on Religious Geography and the West's Stance Towards It," seeks to uncover the strong relationship between the concept of

the Ummah and its geographical territory, and the effect of this on its strength and weakness. It also examines how the colonial West worked to destabilize this concept among Muslims, both peoples and governments. The paper addresses the central problem: To what extent is the concept of the Ummah linked to the Islamic land, and what is the West's position on this ?

Among the most important findings reached are:

Revealed texts (the Quran and Sunnah) confirmed and supported the concept of religious geography to preserve the entity of the Ummah.

Revelation linked the concept of the Ummah to geography through numerous acts of worship, most notably Hajj (pilgrimage).

Revelation indicated that Palestine is a creedal issue that must be reclaimed, as it is the land of the final battle between Truth and Falsehood.

The West views the idea of the Islamic Ummah as a threat to its existence, and consequently, has worked for centuries to incapacitate it by all intellectual, political, and military means.

مقدمة:

فكرة الوحدة الإسلامية والتي يعبر عنها القرآن بمصطلح (الأمة)، هي اعتقاد متجذر فى العمق المسلم شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، أينما وجد المسلم تجد بداخله هذا الشعور الباطن بالانتماء إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم، أمة التوحيد. ولهذا المفهوم أثر مباشر على الرقعة الجغرافية التي تشغلها الشعوب التي توحدها رابطة (الأمة)، وهو من ضمن ما يطلق عليه الجغرافية الدينية.

وبما أن الإسلام قابل للانتشار عبر الزمان والمكان–وهو الواقع الذي فرض نفسه، منذ ظهور الإسلام إلى يومنا مرورا بالفتوحات الإسلامية شرقا وغربا، شمالا وجنوبا– فرقعته الجغرافية قابلة للتمدد والتوسع ، ولا يهم أعراق البشر الداخلة فيه، بقدر ما يهم روح الانتماء إليه، ومن ثمة فمفهوم الأمة يعتبر أقوى شعور ورابط يربط المسلمين في أي أرض تواجدوا فيها، فالمسلم الاندونيسي يحزن لحال أخيه المسلم في البوسنة، ويفرح المسلم الجزائري لفرحة أخيه الباكستاني، ويتضامن مسلم جنوب إفريقيا مع مسلمي الروهينغا، في رابطة قوية تتعدى المشاعر والتضامن العاطفي إلى النصرة والإمداد المادي والبشري.

وهذا ما دفع بالغرب إلى دراسة الشعوب العربية والمسلمة والبحث عن مواطن القوة فيها، فوجد أن رابطة الأمة هي أقوى سلاح تمتلكه، فاشتغل عليه في الوقت الذي غفلنا نحن عنه، وسعى بكل ما أتوي من قوة إلى إضعاف هذه الرابطة والقضاء عليها، ومن تلك المخططات اتفاقية سايكس بيكو التي قررت تقسيم العالم الإسلامي إلى دويلات ذات حدود واضحة بعدما ساهموا في إسقاط الخلافة الإسلامية في الأستانة.

ومما استعانوا به على مخططاتهم أيضا إحياء الهويات القاتلة، تلك التي كانت سابقة للإسلام، من أجل تفتيت اللحمة المسلمة وإثارة النعرات العرقية والطائفية بينهم، فهذا فرعوني وهذا عربي وهذا بربري وهذا كردي وهذا درزي، وهذا سني وهذا شيعي، حتى تمزقت الأمة أشلاء وفرقا، وهو ما نجني ثماره اليوم، وخير مثال ما يحدث لإخواننا في غزة.

جاءت هذه الورقة البحثية الموسومة ب: **"انعكاسات مفهوم الأمة على الجغرافيا الدينية وموقف الغرب من ذلك"** لإماطة اللثام عن العلاقة الوطيدة بين مفهوم الأمة وبين رقعتها الجغرافية وأثر ذلك في قوتها وضعفها، ومدى اشتغال الغرب الكولونيالي على زعزعة ذلك المفهوم في نفوس المسلمين شعوبا وحكومات، ولتجيب على إشكالية مفادها: ما مدى ارتباط مفهوم الأمة بالأرض الإسلامية وما موقف الغرب من ذلك؟

وللإجابة على هذا السؤال ارتأيت تقسيم البحث إلى:

مقدمة

المطلب الأول: مفهوم الأمة وانعكاساته على الواقع

المطلب الثاني: مدى حضور مفهوم الجغرافيا الدينية في منظومة الوحي

المطلب الثالث: مدى ارتباط مفهوم الأمة بالجغرافيا الدينية

المطلب الرابع: إدراك الغرب للعلاقة بين فكرة الأمة وبين امتدادها الجغرافي واشتغاله على محاربة ذلك

المطلب الخامس: كومنويلث إسلامي (رؤية استشرافية لتجسيد ثنائية " الأمة والجغرافيا الدينية")

الخاتمة

المطلب الأول: مفهوم الأمة وانعكاساته على الواقع

في المعجم اللغوي لفظ الأمة يأتي بمعان متقاربة : "قَالَ الْخَلِيلُ: الْأُمَّةُ: الدِّينُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ} [الزخرف: 22] . وَحَكَى أَبُو زَيْدٍ: لَا أُمَّةَ لَهُ، أَيْ: لَا دِينَ لَهُ. وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ: «يُبْعَثُ أُمَّةً وَحْدَهُ» .

وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ كَانَ عَلَى دِينٍ حَقٍّ مُخَالِفٍ لِسَائِرِ الْأَدْيَانِ فَهُوَ أُمَّةٌ. وَكُلُّ قَوْمٍ نُسِبُوا إِلَى شَيْءٍ وَأُضِيفُوا إِلَيْهِ فَهُمْ أُمَّةٌ، وَكُلُّ جِيلٍ مِنَ النَّاسِ أُمَّةٌ عَلَى حِدَةٍ. وَفِي الْحَدِيثِ: «لَوْلَا أَنَّ هَذِهِ الْكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا، وَلَكِنِ اقْتُلُوا مِنْهَا كُلَّ أَسْوَدَ بَهِيمٍ» . فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً} [البقرة: 213] ، فَقِيلَ: كَانُوا كُفَّارًا فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ. وَقِيلَ: بَلْ كَانَ جَمِيعُ مَنْ مَعَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي السَّفِينَةِ مُؤْمِنًا ثُمَّ تَفَرَّقُوا. وَقِيلَ: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً} [النحل: 120] ، أَيْ: إِمَامًا يُهْتَدَى بِهِ، وَهُوَ سَبَبُ الِاجْتِمَاعِ. كان أمة أي مجمع وأصل وأم ملة التوحيد."[1]

الأُمّة: الرجل الَّذِي لَا نَظير لَهُ، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا} (النَّحْل: 120) .

وَقَالَ أَبو عُبيدة: معنى قَوْله (كَانَ أُمة) أَي: كَانَ إِمَاماً. والأُمّة: النِّعمة.[2]

وتكون الأمة: الزمان؛ كما قال: {وادَّكَرَ بعدَ أُمَّةٍ}، وكما قال: {ولَئِنْ أَخَّرْنا عنهم العذابَ إلى أُمَّةٍ معدودةٍ} وقرأ ابن عباس {وادَّكَرَ بعدَ أَمَهٍ} ، أي بعد نسيان.

وتكون الأمة القامة. يقال: فلان حَسَن الأمةِ، أي: حَسَن القامةِ. قال الشاعر :

(وإنَّ معاويةَ الأكرَمِينَ ... حِسانُ الوجوهِ طوالُ الأُمَم)

وتكون الأمة: الأم. قال أبو بكر: قال الفراء: يقال هذه أُمَّةُ فلانٍ، أي: أُمُّ فلان.[3]

---

[1] - مقاييس اللغة، ابن فارس، (1/ 27).

[2] - تهذيب اللغة، الأزهري، (15/ 455).

[3] - الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري، تح حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى،1992م، (1/ 149)

ويمكن من خلال هذه التعاريف اللغوية أن نقول أن من صفات مفهوم الأمة هي أنها جامعة ومميزة ولها أساس تبنى عليه منه الدين ومنه الجنس وتكون ممتدة عبر زمان ولها خصائص.

وأما في الاصطلاح:

عرفها الراغب الأصفهاني بقوله: " والأُمّة :كل جماعة يجمعهم أمر ما إمّا دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيرا أو اختيارا، وجمعها أمم.."[4]

وعرفها رشيد رضا بقوله: " تلك الجماعة الذين تربطهم رابطة اجتماع يعتبرون بها واحدًا، وتسوغ أن يطلق عليهم اسم واحد أو هي: الجماعة المؤلفة من أفرادٍ لهم رابطة تضمهم، ووحدة يكونون بها كالأعضاء في بنية الشخص؛ سواء أكانت كبيرة أو صغيرة، ويختلف هذا الرابط باختلاف مفهوم الأمة، فأمة الإسلام تربطها عقيدة الإسلام."[5]

ومن ذلك: " الأمة مجتمع وجداني يمكن أن يُظهِر نفسه على نحوٍ ملائم في صورة دولةٍ خاصة به؛ ومن ثَمَّ، فإن الأمة مجتمع يميل عادةً إلى إنتاج دولةٍ خاصة به."[6]

والأمة ليست مجرد رابطة وجدانية بل هي حالة تنظيمية سياسيا واستراتيجيا، وهذا ما جاء في وثيقة دستور المدينة: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين...وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة ظلم، أو إثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعا..."[7]

انعكاسات مفهوم الأمة على الواقع:

ولفكرة الأمة على أرض الواقع تجليات وانعكاسات أربعة:

1/ تجلي عقدي: ويتمثل في اجتماع المسلمين على عقيدة واحدة ومرجع واحد هو الإسلام قرآنا وسنة وتراث (وأنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)

---

[4] - المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تح سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، ص22.
[5] - تفسير المنار"؛ محمد رشيد رضا 2 / 220، **و4/ 30,**
[6] - الأسس الثقافية للأمم، مقال عن موقع: https://www.hindawi.org/books/26080506/1.
[7] - سيرة ابن هشام، 2/501-503.

2/ تجلي أخلاقي واجتماعي: ويتمثل في وحدتهم وتماسكهم وتضامنهم (مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم و تعاطفهم مثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّىّ)[8] بمعنى وحدة الانتماء ووحدة التضامن.

3/ تجلي سياسي : يتمثل في فكرة الخلافة التي نص عليها الحديث النبوي وجسدها الصحابة في زمن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون , ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة , فتكون ما شاء الله أن تكون , ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها , ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن تكون , ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها , ثم تكون ملكا جبريا فتكون ما شاء الله أن تكون , ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها , ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت)[9]

ومن ذلك التجلي أن المسلم لم تكن تمنعه الحدود الجغرافية ولا اختلاف الأرض من ممارسة الحكم والسياسة في أي بقعة من بقاع أرض الإسلام، وهذه الرؤية الشمولية والمنفتحة من أسباب قوة هذه الأمة، فتجد العالم من الأندلس يستوزر في القاهرة، وتجد الرجل من الشام يستوزر في بغداد، وتجد الفقيه من مصر ينصب قاضيا في البصرة، والفقيه من خرسان يقضي في مكة، فالعبرة بالفكرة الجامعة والقوة الموحدة وهو الإسلام، وليست العبرة بالرقعة الجغرافية التي ينتمي إليها الناس، وهذا ما أشار إليه الأستاذ مالك بن نبي في كتابه (فكرة كومنويلث إسلامي): "ولهذه الاعتبارات ذاتها يحصل امتداد في المستوى الشخصي للفرد؛ امتداد حضوره إلى أبعد من مقره، فوسطه، فبلاده....يمكننا أن نقول إنا وعيه يتكون وسط عدد معين من الدوائر التي نستطيع تخطيطها من مد ينته إلى بلده إلى العالم العربي، الى العالم الإسلامي الى العالم الأفريقي الآسيوي، إلى الدائرة العالمية.....فبقدر ما يعي هذا الفرد مشاكل بلده ومشاكل العالم العربي واتجاهاته بقدر ما يكتمل وعيه وينمو مستواه الشخصي؛ وبقدر ما يتخطى دائرة داخلية إلى أخرى خارجية بقدر ما ينمو عالم أفكاره، وعندما يبلغ وعيه الاكتمال المتطابق مع الدائرة العالمية يكون مستواه الشخصي قد بلغ أقصى اكتماله..."[10] وبذلك تصل الأمة إلى مستوى الشهادة على الناس بهذه الرؤية العالمية التي تمتد فيها. وهذا ما يصل إليه مالك بن نبي من فكرة مشروعه، حيث قال بعد الحديث عن الدوائر التي يمتد فيها المسلم وينبسط فكريا " ولكن القرآن يعينه لدور آخر، هو دور الشاهد أو المشاهد الأمين لأعمال الآخرين (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) البقرة/143.

---

[8] - متفق عليه، أخرجه البخاري في ك الأدب ح (6011)، ومسلم في ك البر والصلة ح (2586) واللفظ له.

[9] - أخرجه أحمد في مسنده، 273/4، وصححه الألباني

[10] - ينظر: فكرة كومنويلث إسلامي، مالك بنبي ص 66-68، وزبدة كتب مالك بن نبي، محمد ديلمي، ص 373-374، بتصرف

4/ وتجلي حضاري: يتمثل في كونها أمة الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والشهادة على الناس، يقول تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ)، (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً). وجاء في الحديث (أنتم شهداءُ اللهِ في الأرض)[11]

يقول مالك بن نبي: "فعندما يكون الشاهد حاضرا يمكن لحضوره فحسب أن يغير من سير الأحداث، وأن يجنب الوقوع في المحظور؛ وعلى هذا فإن رسالة المسلم في عالم الآخرين لا تتمثل في ملاحظة الوقائع، ولكن في تبديل مجرى الأحداث، بردها إلى اتجاه الخير ما استطاع على ذلك سبيلا " من رأى منكم منكرا...."[12]

فالأمة الإسلامية كيان موحد عقديا وتشريعيا وأخلاقيا، سياسيا وعسكريا، وتجمعها عوامل كثيرة، الدين واللغة والتاريخ والغايات والمصير .

ولا بد من التفريق بين الأمة والدولة (بمفهومها الحديث)، فالأمة أعم وأكبر من الدولة ، كون الدولة نظام سياسي يتبدل ويتغير ويتطور من عصر إلى عصر، فهناك دولة النبوة، وهناك دولة الخلافة، والدولة الملك العضوض، ودولة الجبر، وقد بشر النبي ﷺ، أنه ستعود بعد ذلك دولة الخلافة، حيث جاء في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ، ثم تكون ملكا عاضا ، فيكون ما شاء الله أن يكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكا جبرية ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج نبوة)[13]

ومفهوم الأمة ثابت لا يتغير لأنه مبني على عقيدة التوحيد، يشمل الدولة التي تدين بعقيدة التوحيد وإن تعددت.

المطلب الثاني: مدى حضور مفهوم الجغرافيا الدينية في منظومة الوحي

المطلع على منظومة الوحي عندنا قرآنا وسنة يقف على عديد من النصوص أشارت وأشادت بالأرض التي تدين بالتوحيد وتلك التي وطئها الإسلام، ويضفي على بعضها صفة القداسة، في إشارة إلى أهمية الموقع الجغرافي في منظومة الأمم ودور ذلك في حماية بيضة الإسلام، ومن ذلك:

---

[11] - متفق عليه، أخرجه البخاري ح 2642 ومسلم ح 949.

[12] - فكرة كومنويلث إسلامي، مالك بن نبي، ص 72.

[13] - أخرجه أحمد في مسند الكوفيين حديث 18044، والبزار في مسنده حديث 2423، وقال الألباني : إسناده حسن.

-قوله تعالى في وصف مكة (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ الفتح/24. في إشارة إلى أن مكة قد صارت دار للإسلام بعد أن كانت دارا للشرك، وكان ذلك عام الفتح.

-وقوله تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ۝ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)آل عمران:96- 97، أشاد بالكعبة المشرفة كونها مكان مقدس للمسلمين يعبدون الله فيه وهو ميراث أبيهم إبراهيم عليه السلام، ووصفه بأنه موطن للأمن والأمان والبركة ومقصد يقصده المسلمون من كل بقاع الأرض في إشارة إلى وحدة الأمة وارتباطها بهذه الرقعة الجغرافية من الأرض.

-وقوله تعالى: (﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ الإسراء/1.

في إشارة إلى أن هذا المكان من الأرض (المسجد الأقصى) هو لكم أيها المسلمون فلا بد من تحصيله، حيث سماه مسجدا وهو لم يصير بعد أرضا إسلامية، حيث كان ذلك في رحلة الإسراء والمعراج قبل الهجرة، وأن هذا المحور، محور المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى هو محور مقدس عند المسلمين، وفيه إشارة إلى أن كل تلك الرقع الجغرافية ستصير تحت إمرة الأمة الإسلامية.

-وهذا ما عززته السنة النبوية حين قال المصطفى ﷺ: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا)[14] حيث أشار إلى أن هذه البقاع من الأرض ملكيات مقدسة عند المسلمين، تستحق الرحلة إليها خصوصا للعبادة والزيارة. وفيه تلميح أن كل تلك الرقعة الجغرافية هي للمسلمين. وكل هذه النصوص توحي بأن كل المسلمين لهم الحق في هذه الأماكن المقدسة، مما يشعر بجغرافيا الانتماء.

-ومن مظاهر الجغرافيا الدينية في منظومة تراثنا اعتماد الإمام مالك بن أنس رحمه الله عمل أهل المدينة مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي وحجة شرعية ومصدرا لاستنباط الأحكام، وهذا لا يوجد في أي أمة أخرى ولا في أي دين أخر أو منظومة تشريعية وضعية، حيث يعطي بعدا روحيا للمكان والرقعة التي سكنها صاحب الرسالة ﷺ ومن جاء بعده من الصحابة رضوان الله عليهم، حيث عد عملهم وإجماعهم على العمل حجة في التشريع.

المطلب الثالث: مدى ارتباط مفهوم الأمة بالجغرافيا الدينية

تتمظهر علاقة الأمة بالجغرافيا الدينية في شقها التعبدي، حين نجد كل الشعوب الإسلامية تلصي صلاة واحدة في وقت واحد في كل بقاع الأرض مع فاق التوقيت، كما تجتمع على صيام شهر رمضان في كل بقاع المعمورة في

---

[14] - **متفق عليه، أخرجه** البخاري في ك الجمعة ح 1189 ,1187) والحج (1864) والصوم (1996) , ومسلم: الحج (827) , والترمذي: الصلاة (326) , وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (1410) , وأحمد (78/3).

وقت واحد، وأبرز مظهر يتجلى فيه مفهوم الأمة هو ركن الحج، الذي تجتمع فيه الأمة في مكان واحد في زمن واحد تعبد فيه ربها.

كما تتمظهر العلاقة بين فكرة الأمة وبين الجغرافيا الدينية في شقها السياسي والذي يطلق عليه مفهوم الخلافة، وهي مظهر من مظاهر الدولة، ولو أنها سابقة في الظهور عليها، **عكس الفكر الغربي الذي تسبق فيه الدولة فكرة الأمة فالأمة في منظومة الفكر الإسلامي سابقة لفكرة الدولة،** " لأن مصطلح (الأمة) خاص بالأمة الإسلامية كونها جمع شملها هذا الدين تحت راية الخلافة، يعني له امتداد جغرافي يتمدد مع انتشار الدين الإسلامي، إلا أنه عند باقي الأمم إما مبني على قوميات أو جنسيات أو حدود جغرافية فقط. والدولة القومية أخذها الغرب من مفهوم الأمة عند المسلمين من خلال احتكاكه بالحضارة في الأندلس، مع فارق جوهري بينهما وهو أنهم بنوا **الدولة القومية والدولة هي من وضعت الأمة، فالدولة عندهم توسعت وصهرت الأمة، بينما عند المسلمين فالأمة هي التي وظفت الدولة لخدمتها وهذا فرق جوهري، لأن الأمة عندنا هي الأساس والدولة منتج وظيفي**"[15]

ويشير أيضا إلى أن هذا المصطلح (الأمة) كان حين النشأة يعبر عن إجماع سياسي عند المسلمين، ثم بدا يتلاشى في العصور المتأخرة إلى مجرد رابطة وجدانية، فقال: "لم يكن مصطلح (الأمة) في بدايته يعبر عن رابطة وجدانية، بل كان وصفا لكيان سياسي واستراتيجي، ظل يعكس حال إجماع سياسي تجسده الخلافة أو السلطان أو الحاكم والدولة في ظل فكرة الأمة أخذت أشكالا عديدة منها الخلافة ومنها الملك والإمارة والامبراطورية. والدولة متحركة ومتغيرة لأنها مبنية على التداول في حين الأمة ثابتة، لأنها قائمة على الحق، والحق ثابت مستمر، وهذا مفهوم أصيل.

والأمة هي منبع الشرعية والطموحات، وهي أساس التراحم والتواصل والوجدان، لكنها أيضا مركز السياسة والاستراتيجية وليست مجرد رابطة أخوية تجمع المسلمين عبر القارات."

وقد بينت لنا السنة النبوية أن مفهوم الأمة ليس مجرد رابطة وجدانية بل لها تمظهر على الخارطة الجغرافية، حيث جاء في الحديث الصحيح:

(إن الله زَوَى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكُها ما زُوِيَ لي منها. وأعطيت الكنْزين الأحمر والأبيض. وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسَنَةٍ بعامةٍ، وأن لا يُسَلِّطَ عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ؛ وإن ربي قال :يا محمد، إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُرَدُّ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم

[15] - الأمة، المفهوم الاستراتيجي المركزي، وضاح خنفر، محاضرة ضمن برنامج موازين، على اليوتيوب

بسنة عامة، وأن لا أُسَلِّطَ عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ ولو اجتمع عليهم مَنْ بأقطارها، حتى يكون بعضُهم يُهْلِكُ بعضًا ويَسْبِي بعضُهم بعضًا)[16] فالأمة لها ملك ولها رقعة جغرافية ممتدة امتداد الإسلام وبسط هيمنته على ما فتح من أرض؛ هذه الجغرافيا يمارس عليها المسلمون سلطتهم باسم الأمة جمعاء.

"و(قوله: وإن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها، ومغاربها) أي: جمعها لي حتى أبصرت ما تملكه أمتي من أقصى المشارق، والمغارب منها. وظاهر هذا اللفظ يقتضي أن الله –تعالى– قوى إدراك بصره، ورفع عنه الموانع المعتادة، فأدرك البعيد من موضعه، كما أدرك بيت المقدس من مكة، وأخذ يخبرهم عن آياته، وهو ينظر إليه، وكما قال: إني لأبصر قصر المدائن الأبيض. ويحتمل أن يكون مثلها الله له فرآها، والأول أولى.

و(قوله: إن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها)، هذا الخبر قد وجد مخبره، كما قال –صلى الله عليه وسلم–، وكان ذلك من دلائل نبوته، وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى بحر طنجة الذي هو منتهى عمارة المغرب، إلى أقصى المشرق، مما وراء خراسان، والنهر، وكثير من بلاد الهند، والسند، والصفد. ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب، والشمال، ولذلك لم يذكر أنه أريه، ولا أخبر أن ملك أمته يبلغه."[17]

ومما يستفاد أيضا من هذا الحديث أن هذه الأمة محفوظة لا تباد ولا يقضى عليها رغم الضربات والنكسات التي تنتابها، تضعف ولكن لا تنقرض (:يا محمد، إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُرَدُّ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة) وهي باقية إلى قيام الساعة ما بقي ما يجمعها وهو الوحي.

ومن مظاهر ارتباط مفهوم الأمة بالجغرافيا منع بعض المسلمين من بعض الحقوق التي توفرها الدولة المسلمة ومنع مناصرة المعتدى عليهم إذا لم يكونوا مقيمين في أرض الإسلام، واختيارهم لدار الشرك، حيث شرع الإسلام ذلك إذا كان هناك عهودا بين المسلمين وبين أصحاب الأرض المعتدين، مما يبين مدى تأثير الرقعة الجغرافية على العلاقات بين أطراف الأمة الواحدة، جاء في سورة الأنفال طرح هذه المسألة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الأنفال/72.

---

[16] - أخرجه مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض - حديث : 5252، وأبو داود في سننه كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها - حديث : 3728، والترمذي في جامعه، أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في سؤال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا، حديث : 2153، واللفظ لمسلم.

[17] - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو البعاس القرطبي 216/7.

ويوافق مفهوم الآية حديث (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سَرِيَّةً إلى خَثْعَمٍ فاعتَصَمَ نَاسٌ منهم بالسجود، فَأَسْرَعَ فيهم القَتْلُ قال :فَبَلَغَ ذلك النبيَّ ﷺ فَأَمَرَ لهم بنصف العَقْلِ وقال» :أنا بريء من كل مسلم يُقيم بين أَظْهُرِ المشركين .«قالوا :يا رسول الله لم؟ قال» :لا تَرَاءَى نَارَاهُما)[18] أي لا يتجاوران ولا يتقاربان بحيث ترى نار كل منهما نار الآخر، وهو كناية عن بعد ما بينهما.

ففي الحديث " جعل لهم نصف الدية وهم مسلمون لأنهم أعانوا على أنفسهم، وأسقطوا نصف حقهم بإقامتهم بين المشركين المحاربين لله ولرسوله ﷺ، وشدد في مثل هذه الإقامة التي يترتب عليها مثل ذلك من القعود عن نصر الله ورسوله، والله تعالى يقول في أمثال هؤلاء ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ فنفى تعالى ولاية المسلمين غير المهاجرين إذا كانت الهجرة واجبة، فمعنى قوله ﷺ (أنا بريء من كل مسلم يُقيم بين أَظْهُرِ المشركين) أي بريء من دمه إذا قتل، لأنه عرض نفسه لذلك بإقامته بين هؤلاء المحاربين لدولة الإسلام."[19]

فنصرة المسلمين واجبة في الشرع إلا أنها لها خصوصية إذا كان بعض المسلمين مقيمين في دار الكفر بمعنى ليس في الرقعة الجغرافية المسلمة فهنا إذا كانت هناك مواثيق بين الدولة المسلمة وبين هذه الدولة يسقط حق النصرة لهم بذلك.

"والاستثناء في قوله : إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من متعلق النصر وهو المنصور عليهم . ووجه ذلك أن الميثاق يقتضي عدم قتالهم إلا إذا نكثوا عهدهم مع المسلمين ، وعهدهم مع المسلمين لا يتعلق إلا بالمسلمين المتميزين بجماعة ووطن واحد ، وهم يومئذ المهاجرون والأنصار ، فأما المسلمون الذين أسلموا ولم يهاجروا من دار الشرك فلا يتحمل المسلمون تبعاتهم ، ولا يدخلون فيما جروه لأنفسهم من عداوات وإحن لأنهم لم يصدروا عن رأي جماعة المسلمين ، فما ينشأ بين الكفار المعاهدين للمسلمين وبين المسلمين الباقين في دار الكفر لا يعد نكثا من الكفار لعهد المسلمين ; لأن من عذرهم أن يقولوا : لا نعلم حين عاهدناكم أن هؤلاء منكم ; لأن الإيمان لا يطلع عليه إلا بمعاشرة ، وهؤلاء ظاهر حالهم مع المشركين يساكنونهم ويعاملونهم"[20].

المطلب الرابع: إدراك الغرب للعلاقة بين فكرة الأمة وبين امتدادها الجغرافي واشتغاله على محاربة ذلك

[18] - أخرجه الترمذي 1604، وصححه الألباني، وقال: صحيح دون الأمر بنصف العقل، وأبو داود برقم 2465، وأخرجه النسائي برقم 4780،

[19] - كيف نتعامل مع السنة النبوية، يوسف القرضاوي، ص 148، دار الشروق، القاهرة، ط 2، 2002م

[20] - التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، م 5 ج 11 ص86-87، دار سحنون، تونس، د.ط، د.ت

نتيجة الدراسات الاستشراقية والحملات الاستعمارية للعالم الإسلامي وقف الغرب مفكرين وقادة سياسيين وعسكريين على مدى وثاقة الصلة بين فكرة الأمة وبين امتدادها الجغرافي، وأن روح الأمة تمثل خطرا في نظرهم خاصة على مستواها السياسي (الخلافة)، فكتبوا عن ذلك محذرين ووضعوا خططا لمحاربة فكرة (الأمة) حتى يتمكنوا من السيطرة على رقعتها الجغرافية وينهبوا خيراتها ويمنعوا استقواءها مرة أخرى بعدما أسقطوا آخر خلافة مع الدولة العثمانية.

"ومن الواضح أن الصدام فكري سياسي، وهو ذو بعد عسكري، يصبح أكثر وضوحا عند تحرير جيش الخلافة من هيمنة الحكام الحاليين. ونتيجة الخواء الفكري الغربي، احتاج قادة الاستعمار الغربي لخوض ذلك الصراع تحت عنوان "الحرب على الإرهاب"، واستخدم بعض قادتهم (مثل بوش الابن) مصطلح "عقيدة الكراهية" لوصف الإسلام، في محاولة للنيل المبدئي منه.

وضمن هذا الصراع، يخوض الغرب الحروب العسكرية ويريق فيها دماء المسلمين، ويحوك المؤامرات السياسية لمنع الأمة الإسلامية من الانعتاق من هيمنته ومن الوحدة وتحكيم الشريعة ضمن إطار الخلافة، وما يجري في الشام شاهد على تتابع المؤامرات مع الحروب، لما تمثله من فرصة مرشحة لتكون نقطة ارتكاز لانبثاق الخلافة التي تغير مجرى التاريخ.

وكثيرة ومتواترة هي التصريحات السياسية التي كشفت عن هذا الصراع الغربي ضد الخلافة وفكرتها، وأخذت بالظهور أكثر خلال العقدين الأخيرين، منذ ما بعد الحرب الأمريكية على العراق، ومنذ أن ألّف الفيلسوف الأمريكي **فوكوياما** كتابه الشهير "**نهاية التاريخ**"، الذي اعتبر فيه أن الديمقراطية وقِيَمها في الحرية والفردية وسيادة الشعب، ومبادئ الليبرالية الاقتصادية، تُشكِّل "مرحلة نهاية التطور الأيديولوجي للإنسان"، ومن ثم أعلن انتصار "عولمة الديمقراطية الليبرالية كصيغةٍ نهائيةٍ للحكومة البشرية"[21]

"يقول الدكتور رفيق حبيب وهو كاتب مصري قبطي في مقال له (بالنسبة للدول الغربية، تمثل فكرة استعادة الدولة الإسلامية الموحدة، مشروعا لبناء كيان دولة عظمى. وهو ما يعني ضمنا تحدي الدول الغربية وأمريكا، بوصفها القوى العظمى في عالم اليوم. ولا يمكن أن يستمر الغرب في تفوقه على مختلف دول العالم، إذا تم بناء دولة الوحدة الإسلامية والتي سوف تقع على الحدود الجنوبية للغرب، وتفصل الغرب عن بقية دول العالم، وتحتل منطقة قلب العالم. فإذا قامت دولة للوحدة الإسلامية، لن يستمر الغرب كقوة عظمى. والأهم من ذلك، أن دور الحضارة الغربية بوصفها الحضارة المتقدمة والمهيمنة على العالم، سوف ينتهي.

---

[21] - الخلافة... التحدي المبدئي للغرب الليبرالي، الدكتور ماهر الجعبري، مقال عن الراية، 04 أيار 2016، https://www.pal-tahrir.info/article/8867

إن حلم العولمة، وهو حلم هيمنة الليبرالية الغربية على العالم، سوف ينتهي إذا قامت دولة إسلامية موحدة، لأنها سوف تجعل الحضارة الإسلامية مهيمنة على جزء مهم من العالم، وبهذا تقوم حضارة أخرى تنافس الحضارة الغربية، وتقف كحائط صد يمنع هيمنة الحضارة الغربية على العالم.

وحلم دولة الوحدة الإسلامية، يعيد للغرب تاريخه مع الدولة الإسلامية في مراحلها المختلفة. فلم يستطع الغرب تحقيق هيمنته وسيادته العالمية، إلا بسقوط دولة الخلافة الإسلامية، والتي مثلت آخر تحد حضاري عالمي للدول الغربية."[22]

ومن التصريحات الغربية التي تبين عداءها للأمة المسلمة وترى فكرة الخلافة تهديدا للمصالح الغربية برمتها:

* فقد قال هنرى كسينجر لمناحم بيغن :"إنني أسلمك أمة نائمة ..أمة تنام ولكن مشكلتها أنها لا تموت استثمر ما استطعت نومها فان استيقظت أعادت بسنوات ما أُخذ منها بقرون."

*وقال الرئيس الأمريكي الأسبق رتشارد نيكسون:

" إن دورنا المنوط بنا هو تأخير خروج المارد لإسلامي من قمقمه ..!"

*وقال المبشر الامريكي (لورنس براون): "كان قادتنا يخوفوننا بشعوب مختلفة ولكن تبين ان اليهود أصدقاؤنا والشيوعيين حلفاؤنا...لكن الخطر الساحق موجود في الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته المدهشة.." !!؟؟

*وقال المستشرق " البير مادول": " من يدري ؟ ربما يعود اليوم الذي يصبح الغرب مُهدّدا من المسلمين .. يهبطون اليه من السماء ليكتسحوا العالم مرة اخرى ولن تقوى الذرة او الصواريخ على وقف تيارهم المدمر .." ؟

*وقال المستشرق " مرمادوك باكتول" :" المسلمون يمكنهم ان ينشروا حضارتهم الى العالم الآن وبنفس السرعة المذهلة.. شرط أن يعودوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها .. لأن الغرب الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم الهائلة .." !؟

*وقال " سالازار" نائب وزير الخارجية الفرنسي:

" إن الخطر الحقيقي الذي يهدد الغرب بشكل مباشر وعنيف هو الإسلام ...فالمسلمون عالم مستقل ويملك تراث روحي وحضارة ذات أصالة .. ويجدرأن يقيموا قواعد لعالم مستقل دون الحاجة إلى الحضارة الغربية."

---

[22] - الخلافة: واقع مرتقب وتخوفات غربية، علاء أبو صالح، مقال عن موقع https://pal-tahrir.info/article/1367-.html---- بتاريخ 2010/3/07

ويقول في موضع آخر: " إذا تهيأت للمسلمين سُبل الإنتاج الصناعي فإنهم سينتقلون إلى العالم يحملون تراثهم الحضاري الثمين .. وسينتشرون في الأرض ليزيلوا قواعد الحضارة الغربية فيقذفون برسالتها إلى متاحف التاريخ" يعود محذّرا الغرب فيقول: " إن العالم الاسلامي عملاق مقيد لم يكتشف نفسه بعد لذا يجب أن نعطيه ما يشاء ونُقوّي في نفسه الرغبة في عدم الإنتاج الصناعي حتى لا ينهض ..لكن إذا عجزنا فقد أصبح العالم الغربي في خطر داهم وفقدنا وظيفتنا الحضارية كقائدة للعالم!!..

*وقال السير " وليام ناتنج " في كتابه (العرب) بما أن محمد قد جمع أتباعه في القرن السابع الميلادي وبدأ في الانتشار المذهل في العالم .. فإن على الغرب أن يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة صلبه عنيدة تواجهنا عبر المتوسط.)؟

*وقال المفكر الأمريكي **"ميرو بيرجر"** في كتابه (العالم العربي المعاصر): (ان الخوف من العالم العربي ليس ناتجا عن وجود البترول لديهم بغزارة بل هو بسبب الإسلام فقد ثبت تاريخيا ان قوة العرب تتصاحب مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره ..) !؟

*وقال وزير الخارجية الأمريكي الأسبق " **هنري كيسنجر**" :

" إن عدونا الرئيسي هو الراديكالية الناشطة في الاسلام التي تريد قلب المجتمعات الاسلامية المعتدلة والدول الغربية التي تعتبر عائقا أمام إقامة دولة الخلافة الإسلامية....؟"

*وقال **توني بلير** رئيس وزراء بريطانيا الأسبق يقول:(اننا نواجه حركات أصولية تسعى لإزالة إسرائيل وإخراج الغرب من العالم الإسلامي وإقامة دولة خلافة موحدة تحكم بالشريعة.. وهذا أمر غير مسموح ولا يمكن احتماله مطلقا.)

*وقال السناتور الجمهوري الأمريكي "**بات بوكانان**" "مسألة عودة الإسلام كنظام حياة مجرد وقت لا أكثر" ... ويضيف: "الحقيقة ان أمريكا وجيوشها وترساناتها لا تستطيع مقاومة الحضارة القادمة لأن ثبات الإسلام وقدرته على الاحتمال مبهرة حقا.. فقد تمكن من الصمود خلال قرنين من الحروب المتلاحقة بل تصدى للشيوعية بسهولة عجيبة ..وما نراه الآن انه يقاتل أمريكا آخر قوة عالمية كبرى .."

* وقال وزير الدفاع الأمريكي الأسبق (**رامسفيلد**)

"ستكون العراق بمثابة القاعدة للخلافة الإسلامية الجديدة التي تهدد الحكومات الشرعية في أوروبا وآسيا وأفريقيا.."

* وقال الرئيس الأمريكي الأسبق (بوش الابن): "إن تركنا الإسلاميين يسيطرون على دولة واحدة فإنها ستحشد الملايين من المسلمين إليها .. مما سيترتب عليه الإطاحة بأنظمة الحكم التابعة لنا وإقامة إمبراطورية إسلامية متطرفة من حدود إسبانيا غربا الى أندونيسيا شرقا "

* فيما كشف " **ويسلي كلارك**" قائد قوات حلف الناتو في آسيا وأوروبا السر الخفي للحرب على الإسلام التي أعلنها بوش على العراق وأفغانستان فيقول: "من يظن أننا خرجنا الى أفغانستان انتقاما لإحداث 11 أيلول فليصحح خطأه.. بل خرجنا لقضية أخطر هي (الإسلام) .. ولا نريد أن يبقى الإسلام مشروعا حرا يقرر فيه المسلمون ما هو الإسلام ..بل نحن من نقرر لهم ما هو الإسلام.." [23].

فهذا الكم الهائل من التصريحات من شخصيات مختلفة وبلدان مختلفة يدل على اجتماع الغرب على رفضهم لفكرة الخلافة الإسلامية وتخطيطهم وحرصهم على محاربتها.

مخططات الغرب لمحاربة فكرة الخلافة الإسلامية:

اشتغل الغرب على التخطيط للقضاء على فكرة تشكل الأمة المسلمة في تجلياتها الأربعة: على المستوى العقدي الروحي بإثارة النعرات الطائفية: سني، شيعي، درزي، إباضي، إخوان، سلفية وهابية، وغيرها.

واشتغال الاستشراق قبل ذلك على تشويه مصادر الإسلام قرآنا وسنة وسيرة وتراثا.

على المستوى العسكري القيمي، باستنزاف الجيوش العربية في حروب استعمارية طاحنة، الحيلولة دون تصنيعها وامتلاكها لسلاحها، شيطنة فكرة الجهاد واستبداله بمصطلح الإرهاب.

على المستوى الأخلاقي بإفساد المجتمعات المسلمة وشغلها بالتفاهة وصرفها عن قيمها ودينها مستعملين في ذلك شتى الوسائل، من إعلام، دراما، كتب، مجلات، سينما، مواقع التواصل....

على المستوى السياسي بتقسيمها إلى دويلات قطرية مرسومة الحدود متناحرة فيما بينها، وإشعال الفتن فيما بينها بإثارة النعرات الإثنية الموجودة قبل الإسلام، مثل الفرعونية، الكردية، التركية، البربرية، العربية، الفارسية...وكان ذلك عبر ما يسمى باتفاقية سايكس ببيكو التي تم بموجبها تقسيم تركة الامبراطورية العثمانية وهي دول العالم الإسلامية بين بريطانيا وفرنسا وشيء يسير بروسيا.

---

[23] - يراجع في ذلك: الخلافة... التحدي المبدئي للغرب الليبرالي، ماهر الجعبري، https://www.pal-tahrir.info/article/8867 بتاريخ 2016/03/04، و الخلافة: واقع مرتقب وتخوفات غربية، علاء أبو صالح، https://pal-tahrir.info/article/1367-----.html، 2010/03/07، وأفغانستان بين الانسحاب الأمريكي والنصر الطالباني، عن موقع https://www.insan-center.org بتاريخ 2021/08/17.

"بدأت المفاوضات والاجتماعات بين الحليفتين بريطانيا وفرنسا في نوفمبر 1915م، جرت المحادثات المبدئية بين السير إدوارد جراي وزير الخارجية البريطاني والمسيو بول كامبول السفير الفرنسي في لندن، ثم استكملت المباحثات في القاهرة، وكان يمثل الحكومة البريطانية السير مارك **سايكس**، أما من يمثل الحكومة الفرنسية فهو جورج **بيكو**، القنصل السابق في بيروت، وأثمرت هذه المفاوضات عن عقد اتفاقية عرفت باسم "اتفاقية سايكس-بيكو" أو ما يسمى بالاتفاقية السرية الإنجليزية الفرنسية الروسية، حول مناطق النفوذ في الشرق الآسيوي، من أجل تقسيم المقسم وتجزئة المجزأ، لصالح مخططاتهم الاستعمارية."[24]

ومن بنود الاتفاقية أن تأخذ فرنسا سوريا ولبنان وبريطانيا العراق، وتتقاسمان فلسطين، وأن تستمر المفاوضات بنفس الطريقة السابقة من قبل الدولتين لتحديد حدود الدول العربية، ومن ثمرات الاتفاقية وعد بلفور المشؤوم الذي أصدرته بريطانيا بعد عام من الاتفاقية وكان يوم 02 نوفمبر 1917م، ويهدف هذا الوعد إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين والسماح لليهود بالهجرة إليها.[25]

كل ذلك لمنع الوحدة الجغرافية على أساس الإسلام، فأحلت الدولة القطرية محل الخلافة الإسلامية كما استبدلت الروح الجامعة وهي الإسلام بروح جديدة هي الوطن والوطنية.

" ولتحقيق ذلك انتهجت القوى الغربية الاستعمارية العديد من الطرق والأساليب للحيلولة دون عودة الخلافة ومحاربة فكرتها، نذكر منها فصولاً تشتمل على أعمال وتصرفات عديدة، نذكرها على سبيل المثال لا الحصر:

1. التضليل الفكري وتمثل ذلك في إدخال الأفكار الغربية على الأمة الإسلامية بثوب الإسلام، من خلال مناهج التعليم، ووسائل الإعلام، والأحزاب الموالية للغرب والتي تحمل أفكاره وتروج لها، ومن خلال الكتّاب ولوثات علماء السلاطين.

2. التضليل الإعلامي والطوق المحكم الذي ضربته تلك القوى على فكرة ومشروع الخلافة وكل ما يتصل به من أحداث ونشاطات وأفكار.

3. التضليل السياسي الذي كرس التبعية للغرب كسياسة عامة في كافة بلدان العالم الإسلامي مما زاد من عبودية تلك الأنظمة للغرب وقلل من احتمالية انعتاقها من ربقة الاستعمار.

---

[24] - اتفاقية سايكس بيكو وموقف الهاشميين منها، واثرها على العالم العربي، جوهرة إبراهيم الرويس، مجلة كلية الدراسات الإنسانية، عدد جوان 2017م، جامعة الملك سعود. ص 9.

[25] - ينظر المصدر نفسه، من ص 11-15 باختصار.

4 التضليل السياسي الذي كرس التبعية للغرب كسياسة عامة في كافة بلدان العالم الإسلامي مما زاد من عبودية تلك الأنظمة للغرب وقلل من احتمالية انعتاقها من ربقة الاستعمار.."[26]

المطلب الخامس: كومنويلث إسلامي (رؤية استشرافية لتجسيد ثنائية " الأمة والجغرافيا الدينية")

منذ سقوط الخلافة العثمانية عام 1922 انفرط عقد الأمة الإسلامية ولم يعد لها كيان يجمعها، حيث صارت دويلات متفرقة لها حدود مرسومة ، لكل دولة قطرية حاكم يتصرف فيها، ولم يحدث هذا في تاريخ الأمة طيلة ثلاثة عشر قرنا حتى القرن العشرين الذي انقطع فيه مفهوم الأمة ككيان حاضر وراسخ.
وللعودة بالأمة إلى مسارها الطبيعي من وحدة جغرافية وسياسية ظهرت محاولات عديدة من قبل علماء ومفكري الأمة الإسلامية أمثال جمال الدين الأفغاني من خلال فكرة الجامعة الإسلامية، وكذا فكرة تنظيم الإخوان المسلمين من طرف الشهيد حسن البنا، غير أن الأستاذ مالك بن نبي قدم رؤية استشرافية مكتملة لإعادة بعث كيان الأمة المسلمة من جديد من خلال مشروعه الفكري الفريد، والذي أسماه (فكرة كومنويلث إسلامي)، حاول أن يرسم فيه الملامح العامة لكيفية إنشاء كيان يجسد الخلافة الإسلامية بصورة معاصرة، راعى فيها مقاصد الفكرة دون التركيز على شكلها ووسائلها التقليدية، فهده إيجاد كيان يمثل اتحاد المسلمين

وهذا الكتاب في الحقيقة رسم فيه مالك بن نبي إطارا لمشروع يمنح العالم الإسلامي موقعا له في خريطة العالم الحاضر، معتمدا على النموذج البريطاني (كومنويلث) مع مراعاة خصوصية العالم الإسلامي ومؤمنا بأن روح هذا الكومنويلث هو الإسلام.

وفكرة الكومنويلث هي فكرة بريطانية مبنية على اجتماع مجموعة من الدول على مصالح مشتركة، "الكومنولث عبارة عن جمعية تطوعية تضم **56 دولة مستقلة ومتساوية**. يبلغ عدد سكان الاتحاد الأوروبي 2.7 مليار نسمة، ويشمل الاقتصادات المتقدمة والبلدان النامية. 33 من أعضائنا هي دول صغيرة، بما في ذلك العديد من الدول الجزرية. **اتفقت حكوماتنا الأعضاء على أهداف مشتركة كالتنمية والديمقراطية والسلام. وتُعبّر ميثاق الكومنولث** عن قيمنا ومبادئنا. تعود جذور الكومنولث إلى الإمبراطورية البريطانية. لكن اليوم، **يمكن لأي دولة الانضمام إلى** الكومنولث الحديث. وكانت الغابون وتوغو آخر دولتين تنضمان إلى الكومنولث عام ٢٠٢٢ صاحب الجلالة الملك تشارلز الثالث هو رئيس الكومنولث. ليس له مدة محددة قصوى"[27]

[26] - الخلافة: واقع مرتقب وتخوفات غربية، علاء أبو صالح ، https://pal-tahrir.info/article/1367-----.html، 2010/03/07

[27] - عن موقع https://thecommonwealth.org/about-us

فحوى هذا الكومنويلث حسب صاحب المشروع

"أبرز فيه أفكاره العامة بخصوص إنشاء كيان يجمع الأمة من جديد على فكرة واحدة ويساهم في حل مشاكلها المشتركة وإعادة مجدها من جديد، لم يحدد مالك بن نبي في كتابه بدقة الهيكلة التي يجب أن يكون عليها الكومنويلث الإسلامي نظرا لإيمانه بأن الجانب العملي لهذا المشروع يجب أن تعكف عليه مراكز دراسات وأبحاث متخصصة لتضعه في صورته النهائية واكتفى يطرح الدوافع والأسباب والطرق التي تمكن من تسهيل هذه الفكرة وجعلها قابلة للتطبيق، يتميز العالم الإسلامي من وجهة نظر مفكرنا بوحدته الروحية لكن هذه الوحدة تتضمن في طياتها ستة عوالم وهي:

- العالم الإسلامي الإفريقي أو الأسود، العالم الإسلامي العربي، العالم الإسلامي الأوروبي، العالم الإسلامي الإيراني، العالم الإسلامي المالاوي، العالم الإسلامي الصيني المنغولي،

ونظرا لوحدة هذا العالم من جهة وتعدده من جهة أخرى فإن إمكانية إقامة خلافة راشدة بمعناها تقليدي ذات الخليفة الموحد والسلطة المركزية تبدوا صعبة خاصة في ظل الظروف التي لا يزال يمر بها العالم الإسلامي إلى اليوم، يركز مفكرنا على وعي الفرد فوعي الفرد الجزائري بالنسبة له يتمثل في هذا الشكل البياني، أي أنه كلما زاد وعي الفرد زاد إدراكه لعالم آخر وبالتالي زاد إدراكه لفكرة الكومنويلث الإسلامي، وعلى عكس الكومنويلث البريطاني الذي يعتبر فيه الملك أو التاج هو الرابطة العضوية فإن مفكرنا يرى أن الرابطة العضوية للكومنويلث الإسلامي تتمثل في فكرة الإسلام وتتشخص في مجمع دائم والمقر الرسمي لهذا المجمع يجب أن يكون في ذات الوقت هو الوحدة القاعدية التي تتصل بأجزاء هذا الكومنويلث لتقرر في ما بينها ما يتعلق بشؤونها الإسلامية العامة.."[28]

خاتمة:

ترتبط الجغرافيا الدينية ارتباطا وثيقا بمفهوم الأمة، الأمة ككيان قائم وحاضر لا مجرد ارتباط روحي، ومن تجليات هذا الكيان الجانب السياسي الذي يشكل الدولة، وبالأخرى الخلافة الإسلامية، وفكرة الخلافة المرتكزة على الإسلام كمنهج محرك شكلت هاجسا وتحديا كبيرا للغرب ، كونه يرى فيها تهديدا لوجوده، نظرا لطبيعة الإسلام

---

[28] - الكومنولث الإسلامي.. من أفكار بن نبي إلى طموحات مهاتير محمد، عبد الرحمن الشنقيطي، https://www.aljazeera.net، بتاريخ 2019/11/17، وينظر فكرة كومنويلث إسلامي، مالك بن نبي، ترجمة الطيب الشريف، ص 12-15، دار الفكر، الجزائر، ط 2، 1990م

القابلة للتوسع والانتشار، مما حذا بقوى الغرب الاستعمارية إلى اتخاذ العالم الإسلامي عدوا ينبغي القضاء عليه ومنعه من إعادة تشكيل نفسه وبناء كيانه الموحد له.

ونهجت في سبيل ذلك طرقا متعددة، على المستوى المرجعي لهذه الأمة عملت على تشويه مصادر الإسلام من قرآن وسنة وسيرة وتراث عموما، وعلى المستوى القيمي الأخلاقي سعت لتحطيم المجتمعات المسلمة بنشر الفساد والرذيلة عبر كل وسائل الإعلام وغيرها، وعلى المستوى القيمي العسكري بشيطنة مفهوم الجهاد كونه العمود الفقري للأمة، فهي أمة الشهادة الحارسة للقيم والقائمة على تفعيلها، وعلى المستوى السياسي بإنهاء فكرة الخلافة وإسقاط الإمبراطورية العثمانية وتقسيم العالم الإسلامي إلى دويلات بحدود وهمية اشتغلت على التحريش بينها بإثارة النعرات الطائفية والعرقية.

غير أن هذه الحدود الوهمية ليست قدرا محتوما، تستطيع الأمة تجاوزه ببث الوعي الوحدوي بين شعوبها، والمستقبل أكبر وأهم من أن نتركه فقط في أيدي السياسيين، بل يجب أن يكون الحوار حول المستقبل شانا عاما يشارك فيه الناس جميعا.

قائمة المصادر والمراجع

1- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.

2- تهذيب اللغة، الأزهري، تح محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 2001م..

3- الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري، تح حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى،1992م.

4- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تح سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة.

5- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

6- الأسس الثقافية للأمم، مقال عن موقع:
.https://www.hindawi.org/books/26080506/1

7- سيرة ابن هشام، تعليق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1990م.

8- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري، مكتبة الصف، القاهرة، ط1، 2003م.

9- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاجن مكتبة الصفا، القاهرة، ط 1، 2003م.

10- مسند أحمد ، تح شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م.

11- فكرة كومنويلث إسلامي، مالك بن نبي، ترجمة الطيب الشريف، دار الفكر، الجزائر، ط 2، 1990م

12- زبدة كتب مالك بن نبي، محمد ديلمي، دار الأصالة، الجزائر، 2022م.

13- جامع الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، تعليق الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط الأولى

14- سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني، تعليق الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط الأولى

15- الأمة، المفهوم الاستراتيجي المركزي، وضاح خنفر، محاضرة ضمن برنامج موازين، على اليوتيوب

16- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو البعاس القرطبي

17- سنن أبي داود ، أبو داود السجستاني، تعليق الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط2، 2007
18- سنن النسائي ، أحمد بن شعيب النسائي، تعليق الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط الأولى
19- كيف نتعامل مع السنة النبوية، يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط 2، 2002م
20- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، د.ط، د.ت
21- الخلافة... التحدي المبدئي للغرب الليبرالي، الدكتور ماهر الجعبري، مقال عن الراية، 04 أيار 2016، https://www.pal-tahrir.info/article/8867
22- الخلافة: واقع مرتقب وتخوفات غربية، علاء أبو صالح، مقال عن موقع https://pal-tahrir.info/article/1367-----.html بتاريخ 2010/3/07
23- الخلافة... التحدي المبدئي للغرب الليبرالي، ماهر الجعبري، https://www.pal-tahrir.info/article/8867 بتاريخ 2016/03/04،
24- أفغانستان بين الانسحاب الأمريكي والنصر الطالباني، عن موقع https://www.insan-center.org بتاريخ 2021/08/17.
25- اتفاقية سايكس بيكو وموقف الهاشميين منها، واثرها على العالم العربي، جوهرة إبراهيم الرويس، مجلة كلية الدراسات الإنسانية، عدد جوان 2017م، جامعة الملك سعود.
26- موقع https://thecommonwealth.org/about-us
27- الكومنولث الإسلامي.. من أفكار بن نبي إلى طموحات مهاتير محمد، عبد الرحمن الشنقيطي، https://www.aljazeera.net، بتاريخ 2019/11/17.